Foundation for Science Technology and Civilisation

The Role of Hajj in the Development of the Scientific Movement in Islamic Civilisation

By: Salim T S Al-Hassani

University of Manchester, UK.

Foundation for Science, Technology and Civilisation, UK

Release Date: 2013

Publication ID: 1447

URL:http://muslimheritage.com/topics/default.cfm?ArticleID=1447

Copyright: © FSTC Limited

FSTC Limited
9 Conyngham Road, Victoria Park, Manchester, M14 5DX, United Kingdom
Web: http://www.fstc.co.uk Email: info@fstc.co.uk

The Role of Hajj in the Development of the Scientific Movement in Islamic Civilisation

Salim T S Al-Hassani

University of Manchester, UK.

Foundation for Science, Technology and Civilisation, UK

دور الحج في تنمية الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية: محاولة في استعمال أحدث وسائل التواصل الفكري لبعث حضاري جديد

البروفيسور سليم الحسني
جامعة مانشستر
رئيس مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة، المملكة المتحدة

ملخص

للحج منافع روحيّة كثيرة ومنافع أخرى متعددة معروفة وله فضل حضاري كبيرستتعرض له هذه المداخلة. رمز الحج منذ بداية الإسلام إلى وحدة الأمة الإسلامية ومساواتها أكثر من أي شعائر دينية أخرى. وتحدثنا أحاديث نبوية عديدة عن فضل أداء مناسك الحج وعن الثواب الذي يجنيه المسلم جراء أداء هذا الركن من أركان الإسلام. ومن فضائل الحج المعروفة ما يكون فيه من اجتماع المسلمين من جميع الأقطار وتبادل المودة والمحبة والتعارف بينهم، وما يتصل بذلك من المواعظ والتوجيه والإرشاد إلى الخير والحث على ذلك. كما يمثل الحج معاني عظيمة في ظهور حجاج المسلمين بمظهر موحد في الزمان والمكان والعمل والهيئة، وهم جميعا بين يدي الله عز وجل. وقد بينت دراسة حديثة أن موسم الحج الذي يشهد لقاء ملايين المسلمين في الأراضي المقدسة يعلي من معاني الحب والوئام ويعضد معالم التفاهم الانساني والسلام العالمي.

ويعد الحج في التاريخ الإسلامي من أهم مصادر الثقافة الجغرافية، حيث يدعو إلى دراسة الطرق والوسائل المؤدية إليه، والتعرف على خصائص البلاد والشعوب التي يمر بها الحاج منذ أن يغادر بلده حتى يبلغ البلد الحرام. وقد أفادت رحلة الحج علم الجغرافيا على امتداد العالم الإسلامي من أقصى الشاطئ الأطلسي غربا إلى أقصى الهند والصين شرقا، فوائد عظيمة كان من آثارها ذلك التراث الخالد لكبار الرحالة كابن جبير وابن بطوطة وغيرهما. كما أثمرت رحلة الحج خرائط شهيرة يدرسها اليوم تاريخ العلوم توضع فيها مكة المكرمة في مركز العالم وتبين صيغ رياضية معقدة كيفية حساب التوجه إليها من أي نقطة خارجية مهما كانت بعيدة. وسنبين في محاضرتنا نماذج لهذه الخرائط العجيبة.

وكان الحجَّاج المسلمون في الماضي، قبل عهدِهم بالأسفار الجويَّة أو السفن البخارية الحديثة، يتجشَّمون جميع أنواع المصاعب من حيث سفرهم وتصدُّرهم من أقاصي الدنيا إلى البلاد المقدسة في كلّ عام لحجّ بيت الله الحرام، وزيارة مسجد رسول الله عليْه الصَّلاة والسَّلام. ومنهم مَن كان يريد الحجَّ ويَنْشَطُ إليه رغبةً في طلب العلم على عالم مشهور سمع بقدومه الحجَّ في سنة من السِّنين. وليس أدلّ على حرص العالم أو المتعلم على العلم من أنَّ بعضَهم كان إذا فقد كتابًا ولم يستطِع الوصول إليه، نادى يوم الحجّ عليه، فيخبره مَن علِم به. ولا غرو أن تكون العلوم المناطة بالدّراسة في الغالب الأعم العلوم الدينيَّة والعربيَّة، وأمَّا العلوم العقليَّة ودراستها، فقد قلَّ المشتغِلون بها في مواسم الحجّ. وكانت الحلقات العلميَّة والمناظرات في الحرمَين الشَّريفَين خلال مواسم الحجّ مستمرَّة لا تنقطع في هذه التخصصات القريبة من مناخ الحج وهي الأكثر أهمية للحجاج. وكانت الاستفادة العلمية تحصل أيضا من خلال توْفير الكتب ونسخها، وبخاصَّة في وقت لم تعرف فيه المطابع حينئذ. وقد شهد الرحالة ابن جبير بجوار الكعْبة الشَّريفة وفْرة أعداد

المهتمون بالعلم عندما دخل البيت الكريم في حجّه عام 579هـ، فوصف الكعبة وما يتّصل بجدرانها من مصاطب فقال: "ويجلس فيها النسّاخون، والمقرئون... والحرم محْدق بحلقات المدرّسين وأهل العِلْم."

وقد التقى في رحلة الحج ودروبها علماء التّفسير والحديث والفقه والنحو والأدب، وحتّى من ضمّتهم في جنباتها من التجار الّذين امتهنوا الأسفار، واشتعلوا فيها بالمرابحة العامّة جريًا وراء العلم وتحصليه، والمال وتوفيره، فالتجارة أحيانًا كانت بقصد العلم؛ إذ لم يكن هناك مانع من أن يكون التاجر مقرئًا أو محدّثًا أو فقيهًا، فالدّعوة الإسلاميّة في الأقْطار الإسلاميّة المتفرّقة كان من دعاتها التجّار أيضًا.

أما دور النساء في الحج فله أبعاد استراتيجية في البناء الحضاري للأمة الأسلامية ويذكر البحث نساء من أمثال زبيدة بنت جعفر المنصور التي شيدت محطات الراحة عاي طريق بغداد- مكة والشابة المهندسة مريم العجلية التي قامت بصناعة الاسطرلابات التي تدل على الاوقات والمواقع أثناء السفر.

أما العلاقة بين الطب الاسلامي ورحلة الحج، فنشير إليها بمثال فريد هو ما كتبه الطبيب المسيحي والعالِم قُسْطا بن لوقا البعلبكيّ الذي عاش في أيام المقتدر العباسي. فمن بين من مؤلفاته المعروفة *رسالة في تدبير سفر الحجّ* تلبية لطلب الوزير العبّاسيّ أبي محمد الحسن بن مَخْلد بن الجرّاح. ولد قسطا بن لوقا ببعلبك وتوفي عام 912 م، وهو عالم ومترجم معروف، كان يتقن اللغات الإغريقية والسريانية والعربية. ترجم وألّف في الهندسة والرياضيات والميكانيكا وعلم الفلك والفيزياء والطب والتاريخ. كان أهم كتاب طبي وضعه هو كتاب *في تدبير سفر الحج*، والكتاب عبارة عن نظام طبي للحجاج إلى مكة المكرمة، وضعه طبيب مسيحي لنصح الحجاج المسلمين. نلفت النظر لهذه الظاهرة التي تبرز الحالة الاجتماعية في التواصل والألفة بين المسلمين والمسيحيين في ذلك الوقت.

أما ابن بطوطة، الرحالة المشهور المتوفى بمراكش في 1377م، فانطلق في رحلاته بنية الحج إلى بيت الله الحرام وأقام بالحجاز مدة، وذكر مشاهداته في بلاد الحرمين في فصول مشهودة من كتابه *تحفة النظار في عجائب الأمصار وعجائب الأسفار*. كان الدافع وراء خروج ابن بطوطة لرحلاته أولاً أداء فريضة الحج، إضافة إلى رغبته في رؤية أحوال الناس في مختلف الأقطار وشوقه إلى المعرفة وولعه بالتنقل والمغامرة والتجربة.

وفيما يخص العلم والعلماء، فإن أداءهم لفريضة الحج يمكنهم من الالتقاء بغيرهم ممن يحضر موسم الحج، حيث تلتقي أمة الإسلام على اختلاف شعوبهم وأعراقهم، وأصبحت رحاب الحرمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ملتقى لصفوة علماء الأمة ومفكريها على مدى التاريخ الإسلامي، وغدا الحج إلى مكة فرصة مواتية للقاء العلماء والأدباء والمفكرين من شتى بقاع العالم الإسلامي، يتم من خلاله التعارف والإطلاع على المؤلفات، وأخذ الإجازات العلمية فيما بينهم. وقد أثمرت هذه اللقاءات العلمية تعاوناً علمياً وفكرياً عبر العصور بين علماء الأمصار الإسلامية مما جعل الحج من أهم العوامل التي أدت الى تنمية الحركة الثقافية وإنتعاش الحضارة الاسلامية.

وقد كان الحجاج العلماء القادمون من غرب البلاد الاسلامية فوائد متعددة استفادوها من أدائهم لهذه الفريضة العظيمة، فكانوا يحرصون أثناء موسم الحج على الاستفادة من علماء الحرمين، ويعتزون بالسند الذي يعودون به إلى بلادهم. ويظهر تشوق علماء الغرب الإسلامي إلى رحلة الحج وزيارة المسجد النبوي والأماكن المقدسة من خلال الإشارات الجلية في مؤلفاتهم ورحلاتهم. ومن الأمثلة على ذلك ابن رشيد السبتي (ت. 721 ﻫ) في كتابه *ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة*، وأبي العباس المقري (ت. 1040 ﻫ) في كتابه *روض الاس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس*، والعالم محمد بن زاكور الفاسي (ت. 1120 ﻫ) في كتابه *نشر أزاهر البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان* وأبو سالم العياشي (ت. 1090 ﻫ) في كتابه *ماء الموائد*.

كذلك كان للحج دور كبير في نقل اللغة العربية والثقافة **الإسلامية** إلى القارة الإفريقية، وذلك عن طريق جلب الكتب وتكوين الدعاة واستكمال الدراسة. وكان بعض الحجاج الأفارقة يبقون في الحجاز بعد الحج للدراسة، وتحصيل المعرفة والعلم، ثم يرجعون إلى بلدانهم لنشر العلم الذي حصلوا عليه في الحجاز. وكان بعض الأمراء والملوك من غرب إفريقيا لمّا يحجون ينقلون إلى بلدانهم علماء لتعليم الإسلام واللغة العربية، ويجلبون معهم كتبا في الفنون الإسلامية والعربية. وبهذه الطرق وصلت كتب كثيرة إلى أراضي غرب إفريقيا، مما ساعد على انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأصبحت اللغة العربية هي لغة الدين والثقافة والحياة الإدارية، وصار الحرف العربي هو الحرف الذي يكتب به أشهر اللغات الإفريقية، مثل الهوسا والفلانية والسواحلية والولفية.

وسار علماء الأندلس وبعدهم علماء بلاد الأناضول على نفس الدرب. ففي رحلته الى الديار المقدسة، يخبرنا العالم الرياضي الأندلس أبو الحسن علي القلصادي (المتوفى في 1487م) أن الذي حفزه إلى الرحلة فريضة الحج وطلب العلم وسنية العمرة وزيارة المسجد النبوي، وأن المقصود من تدوينها التعريف بمشايخه الذين تلقى عنهم وبالرحلة ذاتها، بما في ذلك حديثه عن طريق العودة بعد زيارة المدينة المنورة إلى أن وصل ميناء ألمرية

الأندلسي. ومن جهته، يصف الرحالة التركي **أوليا چلبي (توفي 1682) في *الرحلة الحجازية*** رحلته منذ أن قامت من إسطنبول حتى انتهى من أداء شعائر الحج، حيث يقدم أوصاف الحرمين الشريفين وما فيها من تحف وعدد المآذن والأبواب والأعمدة والشبابيك وأطوال كل منها، وتعريف كامل بسكان البقيع من أصحاب رسول الله (صلعم). كما يصف وصفًا دقيقًا كل ما كان يصادفه من قلاع وحصون ومساجد وتكايا، ويعرفنا بأقطاب العلم، ويقدم وصفًا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والتشكيلات العسكرية والتقسيمات الإدارية للشام والحجاز.

كما حظي الأدب الفارسي عبر عصوره المختلفة بالعديد من كتب الرحلات التي تصف رحلة الحج بالمشاعر المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة، معتمرين أو حاجين. وأكثر هذه الرحلات شهرة وذات شأن في بعدها التاريخي، رحلات الشاعر الفارسي الشهير ناصر خسرو والتي أوردها في كتابه النثري الوحيد *سفر نامه* أي كتاب السفر. وقد استغرقت هذه الرحلات سبع سنوات بين عامي 437هـ/444هـ. بدأت هذه الرحلات حين أدى ناصر خسرو فريضة الحج أربع مرات خلال هذه السنوات. وقد أجاد ناصر خسرو في وصفه للأماكن من الشام إلى الحجاز، و من مصر إلى جدة ومنها إلى مكة والمدينة.

ولعل من أبرز التأثيرات الحضارية هي ما نجده لدى المهندس الصيني الملقب بأمير البحارزينك هي، الذي انبهر بمواكب ومشاهد الحج في صغره مما أدى به في كبره الى إنشاء اسطول تجاري بحري من أكبر السفن التي عرفها التاريخ والذي مخر البحار والمحيطات ناقلاً للمواد والعلوم والثقافة في دول السواحل المتعددة، بما فيها الأسيوية والإفريقية.

ويعرض هذا البحث بعض الاقتراحات في استعمال أحدث الوسائل التي وصلت اليها علوم الادارة لتلاقح الأفكارفي تفعيل روح حضارية جديدة في العالم الاسلامي من خلال برامج قبل وأثناء وبعد الحج.

المحتويات

1. مقدمة 4
2. المكانة العلمية لمكة والمدينة على مر العصور 5
3. تظافر جهود علماء الفلك والرياضيات والجغرافيا لوضع خرائط التوجه إلى مكة 7
4. نساء في خدمة الحج 8
5. قسطا بن لوقا ورسالته في طب الحج: مثال عن روح التآلف بين المسلمين والمسيحيين 8
6. رحلة الحج في التاريخ الثقافي الإسلامي 10
   6. 1. حجاج الغرب الاسلامي 10
   6. 2. حجاج عثمانيون في أرض الحجاز 14
   6. 3. نموذج من كتابات رحالة بلاد فارس إلى الأراضي المقدسة 15
7. تفعيل روح حضارية جديدة من خلال الحج 16
8. شكر وعرفان 18
9. ملحق 19
10. المصادر 23

***

1. مقدمة

للحج منافع روحيّة كثيرة ومنافع أخرى متعددة معروفة وله فضل حضاري كبيرستتعرض له هذه المداخلة. رمز الحج منذ بداية الإسلام إلى وحدة الأمة الإسلامية ومساواتها أكثر من أي شعائر دينية أخرى. وتحدثنا أحاديث نبوية عديدة عن فضل أداء مناسك الحج وعن الثواب الذي يجنيه المسلم جراء أداء هذا الركن من أركان الإسلام. ومن فضائل الحج المعروفة ما يكون فيه من اجتماع المسلمين من جميع الأقطار وتبادل المودة والمحبة والتعارف بينهم، وما يتصل بذلك من المواعظ والتوجيه والإرشاد إلى الخير والحث على ذلك. كما يمثل الحج معاني عظيمة في ظهور حجاج المسلمين بمظهر موحد في الزمان والمكان والعمل والهيئة، وهم جميعا بين يدي الله عز وجل.

وقد بينت دراسة حديثة في جامعة هارفارد الامريكية أن موسم الحج الذي يشهد لقاء ملايين المسلمين في الأراضي المقدسة يعلي من معاني الحب والوئام ويعضد معالم التفاهم الانساني والسلام العالمي.[1] فقد خلصت الدراسة إلى أن الحجاج إلى بيت الله الحرام تتعزز لديهم مشاعر الوحدة الاسلامية والتقارب بين المسلمين من مختلف البقاع والأقطار دون أن يؤثر ذلك على رؤيتهم لغير المسلمين وفي تمثلهم لمعاني السلام والتعايش بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى. كما أن تأدية شعائر الحج يولد لدى الحجاج نزعة نحو الحرص على تأدية فرائض الإسلام الأخرى كالصلاة والصوم. ويعزز الحج الاعتقاد في المساواة والوئام بين الجماعات والقوميات المسلمة ويرفع من شأن النظرة إلى المرأة المسلمة وإلى دورها في المجتمع وفي التربية والعمل. وقد بينت هذه الدراسة أن هذه الرؤية المنفتحة تظهر كنتيجة مباشرة للإختلاط بين مختلف الأقوام من المسلمين أثناء موسم الحج.

ولعل من أبرز الأمثال والدلائل على التاثير الهائل على تصورات الحجاج وما تؤدي الى تغيير جذري لسلوكهم بعد الحج هو ما حدث لمالكوم إكس (Malcolm X) الرجل الذي أوشك على شق أمريكا إلى دولتين على أساس اللون. ذلك عندما تزعم حركة المسلمين السود، إلا أنه عندما ذهب الى الحج تغيرت أفكاره وتخلص من اعتقاداته العنصرية مما أدى الى إنقاذ أمريكا من ويلات الحروب الأهلية بين البيض والسود.يقول في رسالته التي كتبها من مكة عام 1964م: "رأيت عشرات الالاف من الحجاج من كافة أنحاء العالم. كنا نتشارك معاً في العباجات وفي روح أخوية لم تكن ممكنة في اعتقادي السابق الذي كان لا يمكن ان يجمع بين الأبيض والأسود. إن ما رأيت وما تعايشت فيه أرغمني على إعادة تشكيل خارطة ذهني السابقة وأن اطرح جانباً كل استنتاجاتي السابقة." عندما رجع الى أمريكا اتخذ إسماً جديداً هو مالك الشباز ولم يمر عليه إلا أشهر قلائل إلا واستشهد بوابل من الرصاص وهو مبتسم وكأنه يتوقع ذلك. وكثير من المحللين السياسيين الحاليين يعتبرون وصول أوباما الى رئاسة الولايات المتحدة من ثمار ذلك التغيير الذي حصل لمالكولم إكس.[2]

والتاريخ يزخر بمثل هذه الشخصيات التي تأثرت بالحج وأحدثت تغييراً كبيراً عند رجوعها إلى بلادها الأصلية. نضرب مثالاً آخر بأهم الشخصيات الصينية، وهو الأدميرال البحري زيغ هي من القرن الخامس عشر ميلادي، الذي فتح الصين على العالم بعد قرون من الإنغلاق. فبنى أسطولا تجاريا من أكبر السفن التي عرفها العالم آنذاك ومخر بها المحيطات ناقلاً للمواد والعلوم والثقافة في دول السواحل المتعددة، بما فيها الأسيوية والإفريقية، وخصوصاً سواحل الجزيرة العربية. فعل ذلك بتأثير ما انبهر به من مواكب ومشاهد الحج في صغره أثناء حج ذويه المغول المسلمون، وذلك قبل أن تتبناه العائلة المالكة الصينية ويصير واحدا منها. بقيت مشاهد الحج والحجاج من كافة أنحاء العالم بذهن ذلك الصغير فعزم في كبره على الانفتاح على العالم ببناء ذلك الاسطول العجيب، ليصير أسطورة يذكرها الصينيون بكل فخر واعتزاز.[3]

2. المكانة العلمية لمكة والمدينة على مر العصور

وُجدت مكة لتكون مركز إشعاع ديني وعلمي على مدى الزمان، وذلك من خلال نشاط علمائها عبر التاريخ منذ أصبحت مهبط وحي ومنطلق رسالة إلهية.[4] وقد تفاوتت درجات النشاط العلمي والاشعاع الديني لمكة المكرمة قوة وضعفاً حسب المراحل التاريخية وحسب ما مر بها من استقرار وازدهار ورخاء. وإلى ذلك يشير الحافظ الذهبي بقوله عن مكة: "كان العلم بها يسيراً في زمن الصحابة، وكذلك في أيام التابعين"، ويضيف:"ثم في أثناء المائة الثالثة تناقص علم الحرمين وكثُر بَعدَها."[5]

ويعود ما يشير إليه الذهبي من كثرة العلم وتناقصه إلى حركة العلماء المسلمين ونزولهم بمكة أو المدينة واستقرارهم بهما في رياض الحرمين الشريفين، ومجاورتهم لفترة زمنية، ثم انتقالهم إلى بلد آخر طلباً للعلم والأخذ عن العلماء في شتى الأمصار الإسلامية ومزاولتهم للدرس والتعليم ببلدانهم الأصلية عندما يعودون إليها. على هذا الأساس، كانت الحركة العلمية في بلاد الحرمين مكة والمدينة تتأثر بكثرة الوافدين من علماء المسلمين لأداء الحج أو العمرة أو الزيارة، وتقل في بعض الأحيان، وتصبح في نطاق العلماء المقيمين إقامة دائمة في مكة والمدينة.

وعلى العموم، وكما تشهد بذلك المصادر التاريخية، لم تتوقف الحركة العلمية ببلاد الحرمين في أي عصر من العصور الإسلامية، وإنما استمرت ونمت منذ صدر الإسلام حتى الآن. فكانت مكة المكرمة ولا زالت نقطة التقاء ومركز تجمع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية. وبذلك كانت على الدوام من أقوى مراكز نشر الثقافة الإسلامية والتواصل العلمي والثقافي بين بلاد الإسلام، واحتفضت مكة بمكانتها الدينية في نفس كل مسلم تجعلها دائماً محط اهتمام وملتقى للمسلمين من مختلف أقطارهم. فإليها تتجه قبلتهم في صلاتهم، وفي أرجائها يؤدون شعائر حجّهم، ومنذ بداية الدعوة المحمدية المباركة أصبحت مركزاً للثقافة الإسلامية، وفي كل عام يجتمع في رحابها وفي أرجاء المدينة المنورة ما لا يجتمع في أي مدينة أخرى من مدن البلاد الإسلامية.

كان العلماء منذ العصور الأولى للإسلام يقصدون مكة المكرمة من مختلف أقطار العالم الإسلامي ليؤدوا ركناً من أركان دينهم الحنيف، وليتزودوا بزاد التقوى والعمل الصالح والعلم والمعرفة. فالعالم المسلم يفد إليها من أقصى المشرق أو المغرب فيلتقي بعالم آخر من بلاد بعيدة، فيحصل بهذا الالتقاء تقارب وتفاهم واستزادة علم بينهم وتواصل علمي يؤدي إلى انتشار العلوم والمعارف بين مختلف الأقطار الإسلامية.[6]

وعلى هذا الحال كانت بلاد الحرمين الشريفين في مكة والمدينة على مر العصور الإسلامية ملتقى العلماء والفقهاء من المقيمين أو المجاورين أو الوافدين إليها من أبناء الأمة الإسلامية. ويؤكد انتساب بعض أبناء الأمم والشعوب الإسلامية إلى مكة إقامتهم فيها لفترة من الزمن تعلماً أو تعليماً. فأصبحت لهم ألقاب مخصوصة يعرفون ويتشرفون بها، مثل "إمام الحرمين" و"جار الله" و"المكي" أو "المدني"، وهي شواهد صادقة عبر التاريخ على الدور العلمي لمكة المكرمة والمدينة المنورة في المجالين العلمي والثقافي، للأفراد من العلماء ولمجموع الأمة الإسلامية عامة.[7]

وقد أنجزت بمكة والمدينة الكثير من المؤلفات العلمية القيمة التي انتشرت في الأقطار الإسلامية وكان لها الفضل في تقوية الإسلام ونشره بين الأقوام، ومنها "**صحيح البخاري**"، **الذي** هو أصح كتب الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة. جمعه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأسماه "**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه**". وهو أول مصنف في الحديث الصحيح المجرد المنسوب إلى رسول الله (ص)، وجملة أحاديثه سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثاً بالمكرر. ويقول الإمام محمد بن إسماعيل البخاري عن كتاب "**الصحيح**": "صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام". ومن الكتب الأخرى الهامة في تاريخ الإسلام و المؤلفة بمكة "**الكشاف عن حقائق التنزيل**" و"**عيون الأقاويل في وجوه التأويل**" للإمام جار الله الزمخشري (المتوفى سنة 538هـ / 1143م في جرجانية خوارزم)، فقد شرع في تأليفه وأتمه بين ظهراني المسجد الحرام بمكة.[8]

وقدمت مكة والمدينة للعلوم الإسلامية علماء أجلاء فصَّلت كتب التراجم والطبقات في ذكر أحوالهم ومؤلفاتهم على مدى العصور الإسلامية، ومن تلك المؤلفات على سبيل المثال كتاب "**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**"، لتقي الدين الفاسي (ت. 832 ﻫ)، الذي اهتم فيه مؤلفه بتراجم علماء مكة، مرتبين على حروف الهجاء، فكانت أعدادهم تصل إلى الآلاف. وكتاب "**الدر الكمين بذيل العقد الثمين**"، الذي وضعه عمر بن فهد (ت. 885 ﻫ)، فأكمل فيه ما نقص من كتاب "**العقد الثمين**" من تراجم المكيين، وذيل عليه بتراجم من ظهروا بعد تأليف "**العقد الثمين**"، فأورد فيه آلافاً أخرى من تراجم العلماء المكيين. وهذان الكتابان من أهم المراجع العلمية والتاريخية لأخبار المكيين من علماء وفقهاء وأهل ثقافة وأدب.[9]

وكان لمكة المكرمة والمدينة المنورة ولعلمائها وفقهائها الفضل الكبير على النهضة العلمية في كثير من البلاد الإسلامية، إذ فتحت أبوابها لأبناء المسلمين، واستقبلتهم ساحاتها العلمية، وتهيأ لهم طلب العلم في رحاب الحرمين الشريفين ولقاء العلماء الأجلاء، فانتشرت العلوم إلى البلاد الإسلامية الأخرى عند عودة العلماء إلى بلادهم الأصلية ونشرهم للمعارف المحصّلة ببلاد الحرمين.

كما كانت مكة والمدينة مقصداً لطلاب العلم من شتى أنحاء البلاد الإسلامية، وتطورت الحياة العلمية فيها نتيجة لجهود العلماء المسلمين في مكة والمدينة وغيرهم من العلماء الذين استوطنوا مكة أو المدينة أو جاوروا فيهما لفترات زمنية. وتُبين كتب التراجم بوضوح أثر هؤلاء العلماء، وتؤكد على النشاط العلمي الذي تزايد مع مرور الوقت من خلال حلقات التدريس في أروقة الحرمين الشريفين، أو من خلال بعض المدارس العلمية التي أقامها الأمراء والسلاطين بمكة المكرمة والمدينة، وأوقفوا عليها الأوقاف والمخصصات المالية، وعينوا العلماء للتدريس فيها، وأنفقوا بسخاء على طلاب العلم لمساعدتهم على التفرغ لطلب العلم.[10]

ولنا في أخبار حج عدد كبير من علماء العالم الإسلامي على مر العصور خير دليل على هذه الحركة العلمية المستمرة. ونذكر على سبيل المثال حج ابن خلدون إلى مكة والمدينة سنة 789 هـ / 1387م ثم انقطع بعده للتأليف فأتم كتابة مؤلفه الضخم "**العبر وديوان المبتدأ والخبر**" الذي افتتحه بـ"**المقدمة**" الشهيرة ذات الشأن العظيم في وضع أصول علم العمران وبسط النظريات الاجتماعية والسياسية وتصنيف العلوم.

3. تظافر جهود العلماء لوضع خرائط التوجه إلى مكة

يعدّ الحج في التاريخ الإسلامي من أهم مصادر الثقافة الجغرافية، حيث يدعو إلى دراسة الطرق والوسائل المؤدية إليه، والتعرف على خصائص البلاد والشعوب التي يمر بها الحاج منذ أن يغادر بلده حتى يبلغ البلد الحرام. وقد أفادت رحلة الحج علم الجغرافيا على امتداد العالم الإسلامي من أقصى الشاطئ الأطلسي غربا إلى أقصى الهند والصين شرقا، فوائد عظيمة كان من آثارها ذلك التراث الخالد لكبار الرحالة كابن جبير وابن بطوطة وغيرهما.

كما أثمرت رحلة الحج خرائط شهيرة يدرسها اليوم تاريخ العلوم توضع فيها مكة المكرمة في مركز العالم وتبين صيغ رياضية معقدة كيفية حساب التوجه إليها من أي نقطة خارجية مهما كانت بعيدة. وسنبين فيما يلي نماذج لهذه الخرائط العجيبة.

إهتم العلماء بتحديد موقع مكة في إطار البحث العلمي الدقيق الذي عرفته الحضارة الإسلامية في العصر الذهبي للعلوم الإسلامية، خاصة تحديد القبلة من أجل الصلاة وتوجيه عمارة المساجد. وتبين بعض الوثائق النادرة التي عثر عليها المؤرخون حديثا نماذج لخرائط تتيح التوجه إلى مكة من أية نقطة في العالم الوسيط. وفي هذا الإطار اكتشف عالم معاصر هو المؤرخ الإنجليزي دايفيد أ. كينج (David A. King) [11]، من جامعة فرانكفورت بألمانيا، آلتان معقدتان من النحاس صنعتا بإيران في القرن السابع عشر بالاعتماد على صيغ رياضية تعود الى فترة العصر الذهبي للعلوم الإسلامية الدقيقة ما بين القرنين التاسع والحادي عشر، وبالتحديد الى العالم الفذ أبو الريحان البيروني. وباستخدام هذان النموذجان، بمكن تحديد جهة مكة المكرمة كقبلة من أية نقطة خارجها.

وقد كان تحديد اتجاه القبلة من ضمن الاهتمامت المركزية لعلماء الفلك في الإسلام، وقد تعاون لإنجاز هذه المهمة علماء الرياضيات وعلماء الرصد الفلكي. ومن ضمن العلماء الذين ساهموا في هذا البحث المعقد نذكر كوكبة من العلماء الكبار من بينهم الرياضي الخوارزمي والفلكي حبش الحاسب والنيريزي والبتاني وأبو الوفا البوزجاني والعالم المصري إبن يونس وعالم العراق أبونصر منصور والفيزيائي الكبير إبن الهيثم وعالم غزنة الفذ البيروني وزعيم مدرسة مراغة نصير الدين الطوسي والعالم المؤثر صاحب النظريات الفلكية المجددة إبن الشاطر وغيرهم.[12]

كما واهتم العلماء بتحديد الأوقات والأزمان فبرعوا في تصنيع الساعات المائية والساعات الميكانيكية، حتى أصبح في معظم الجوامع غرفة للمؤقّت يرصد فيها الأوقات والأهلة.

4. نساء في خدمة الحج

ومما يجدر ذكره أيضا أنه كان للنساء دور كبير في الحج من أمثال السيدة زبيدة بنت جعفر المنصور زوجة هارون الرشيد التي شيدت محطات راحة على طريق بغداد-مكة. وكذلك نساء عالمات ومهندسات مثل مريم العجلية (من حلب في عصر سيف الدولة) التي كانت ضليعة في تصنيع الاسطرلابات التي تستخدم في معرفة الأوقات والمواقع بواسطة استطلاع الأجرام السماوية.[13] يحتاج هذا الموضوع الى بحث منفرد لسعته وتخصصه وحساسيته.

5. قسطا بن لوقا ورسالته في طب الحج: مثال عن روح التآلف بين المسلمين والمسيحيين

أما العلاقة بين الطب الاسلامي ورحلة الحج، فنشير إليها بمثال فريد هو ما كتبه الطبيب المسيحي والعالِم قُسْطَا بن لوقا البعلبكي. من بين مؤلفاته المعروفة *رسالة في تدبير سفر الحجّ* تلبيةٌ لطلب الوزير أبي محمد الحسن بن مَخْلَد بن الجرّاح. ولد قسطا بن لوقا ببعلبك وتوفي عام 912 م، وهو عالم ومترجم معروف، كان يتقن اللغات الإغريقية والسريانية والعربية. ترجم وألّف في الهندسة والرياضيات والميكانيكا وعلم الفلك والفيزياء والطب والتاريخ.[14] من بين مؤلفاته الطبية رسالة **"في تدبير سفر الحج،"** قدم فيها نظاما طبيا للحجاج إلى مكة المكرمة، وضعه طبيب مسيحي لنصح الحجاج المسلمين. ويهمنا أن نلفت النظر لهذه الظاهرة التي تبرز المستوى العالي من التعاون والتواصل والألفة بين المسلمين والمسيحيين في ذلك الوقت.

والحسن بن مَخْلَد الذي وجه قسطا بن لوقا الرسالة اليه هو أبو محمد الحسن بن مَخْلَد بن الجراح، مسيحي الأصل لكنه اعتنق الإسلام وعمل كاتباً في بلاط الخليفة

المتوكل (232-247هـ/847-861م)، ثم وزيرا للخليفة المعتمد (256-279هـ/870-892م). وكان كثير الاحتفال بأهل العلم والأطباء، وأحاط قسطا بن لوقا برعايته. وقد ألف قسطا هذه الرسالة عندما عزم ابن مخلد على الحج لكنه أحجم عن مرافقته في سفره ليتولى بنفسه تدبير صحته، غير أنه لم يكن يستطيع السفر آنذاك بسبب أولاده الصغار، فرأى أن يثبت جميع ما يحتاج إليه ابن مخلد في سفره في كتاب ينوب عنه بعض النيابة.[15]

يعتبر كتاب *تدبير سفر الحج* لقسطا بن لوقا أول كتاب مصنف في طب السفر.[16] وقد جائت طلائع الكتابة في طب السفر في كتاب **"فردوس الحكمة"** لابن ربن الطبري في باب صغير منه، ثم ألفت كتب في طب الحضر والسفر معا، ككتاب ابن ماهان يعقوب السيرافي وكتاب عبد الله بن جبرائيل. وتتضمن كتب السفر من علم الطب عادة ما يفيد المسافر في معالجة ما قد يتعرض له من حالات أو أمراض تحدث غالبا في أثناء السفر أو في الاغتراب. أما رسالة قسطا المشار إليها، فقد ذكر فيها المؤلف أولا المعاني التي يحتاج الى استعمالها في الأسفار وهي أربعة:

أولها: العلم بالتدبير في وقت السير ووقت الراجة والطعام والشراب والنوم والباه

والثاني: في العلم بأصناف الأعيان والأشياء التي تذهب بكل صنف منه.

والثالث: العلم بالعلل التي تعرض من هبوب الرياح المختلفة وعلاجها.

والرابع: العلم بالتحرز من الهوام وعلاج آفاتها إذا وقعت.

هذه الأشياء يُحتاج إلى العلم والعمل بها في الأسفار الاعتيادية. أما سفر الحج فهناك معان أربعة أخرى:

الأول منها: العلم باختلاف المياه واصلاح الفاسد منها

الثاني: الاحتيال في عوز الماء وقلته بما يقطع العطش

الثالث: العلم بالتحرز من الأشياء التي يتولد منها العرق المديني وهيجان البواسير.

الرابع: التخرز من الحيات والعلاج من آفاتها.

وقد جعل كلامه على هذه المعاني أو المواضيع جميها في أربعة عشر بابا.

وهذه الرسالة هي نص فريد من نوعه، حيث أنها المؤلف الأول، فيما نعرف، التي قُصد بها إرشاد الحاج الى مكة المكرمة في الشؤون الصحية. ويسعى مؤلف الرسالة لتوفير المعلومات الاساسية لخير السبل التي يحتاجها الحاج للحفاظ على صحته، وعلاج ما قد ينتابه من علل او اختلاطات أثناء هذه الرحلة الشاقة والطويلة.

ونعتمد في عرضنا لمحتويات الرسالة والتعليق عليها على النشرة العلمية لكتاب ابن لوقا التي أنجزها مؤرخ قدير هو غيريت بوز (أنظر الملحق). وقد حققها نقديا انطلاقا من عدة مخطوطات ونقلها الى الإنجليزية ووضع لها من الحواشي الشيء الكثير، وعلق على مادتها الطبية بالمقارنة مع ما ورد حول الموضوع لدى أطباء اليونان

القدامى وعلماء الطب الإسلامي في العصر الذهبي. ولأهميتها وعلاقتها بهذه المداخلة نعرض لبعض ما ورد فيها في الملحق في آخر البحث.

6. رحلة الحج في التاريخ الثقافي الإسلامي

كان الحجَّاج المسلمون في الماضي، قبل عهدِهم بالأسفار الجويَّة أو السفن البخارية الحديثة، يتجشَّمون جميع أنواع المصاعب من حيث سفرهم وتَصَدُّرهم من أقاصي الدنيا إلى البلاد المقدسة في كل عام لحجّ بيت الله الحرام، وزيارة مسجد رسول الله عليْه الصَّلاة والسَّلام. ومنهم مَن كان يريد الحجَّ ويَنْشَطُ إليه رغبةٌ في طلب العلم على عالم مشهور سمع بقدومه الحجَّ في سنة من السِّنين. وليس أدلّ على حرص العالم أو المتعلم على العلم من أنَّ بعضَهم كان إذا فقد كتابًا ولم يستَطِع الوصول إليه، نادى يوم الحجّ عليه، فيخبره مَن علِم به. ولا غرو أن تكون العلوم المناطة بالدّراسة في الغالب الأعم العلوم الدينيَّة والعربيَّة، وأمَّا العلوم العقليَّة ودراستها، فقد قلَّ المشتغِلون بها في مواسم الحجّ. وكانت الحلقات العلميَّة والمناظرات في الحرمَين الشَّريفَين خلال مواسم الحجّ مستمرَّة لا تنقطع في هذه التخصصات القريبة من مناخ الحج وهي الأكثر أهمية للحجاج. وكانت الاستفادة العلمية تحصل أيضا من خلال توْفير الكتب ونسخها، وبخاصَّة في وقت لم تعرف فيه المطابع حينئذ. وقد شهد الرحالة ابن جبير بجوار الكعْبة الشَّريفة وفْرة أعداد المهتمون بالعلم عندما دخل البيت الكريم في حجِّه عام 579هـ، فوصف الكعبة وما يتَّصل بجدرانِها من مصاطب فقال: "ويجلس فيها النسَّاخون، والمقرئون... والحرم محْدق بحلقات المدرِّسين وأهل العِلْم."[17]

وقد التقى في رحلة الحج ودروبها علماء التَّفسير والحديث والفقه والنحو والأدب، وحتَّى من ضمَّتهم في جنباتها من التجار الَّذين امتهنوا الأسفار، واشتعلوا فيها بالمرابحة العامَّة جريًا وراء العلم وتحصليه، والمال وتوفيره، فالتجارة أحيانًا كانت بقصد العلم؛ إذ لم يكن هناك مانع من أن يكون التاجر مقرئًا أو محدِّثًا أو فقيهًا، فالدَّعوة الإسلاميَّة في الأقطار الإسلاميَّة المتفرِّقة كان من دعاتها التجَّار أيضًا.

وفيما يخص العلم والعلماء، فإن أداءهم لفريضة الحج يمكنهم من الالتقاء بغيرهم ممن يحضر موسم الحج، حيث تلتقي أمة الإسلام على اختلاف شعوبهم وأعراقهم، وأصبحت رحاب الحرمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ملتقى لصفوة علماء الأمة ومفكريها على مدى التاريخ الإسلامي، وغدا الحج إلى مكة فرصة مواتية للقاء العلماء والأدباء والمفكرين من شتى بقاع العالم الإسلامي، يتم من خلاله التعارف والاطلاع على المؤلفات، وأخذ الإجازات العلمية فيما بينهم. وقد أثمرت هذه اللقاءات العلمية تعاوناً علمياً وفكرياً عبر العصور بين علماء الأمصار الإسلامية مما جعل الحج من أهم العوامل التي أدت الى تنمية الحركة الثقافية وإنتعاش الحضارة الاسلامية.

6. 1. حجاج الغرب الاسلامي

وسنذكر في هذا الفصل تجارب الحجيج من العلماء والأدباء والرحالة من المغرب الأقصى والأندلس وإفريقيا الإسلامية.

ومن الأمثلة الشهيرة عن رحلة الحج ما قام به إبن بطوطة، الرحالة المشهور المتوفى بمراكش في 1377م. فقد انطلق في رحلاته بنية الحج إلى بيت الله الحرام وأقام بالحجاز مدة، وذكر مشاهداته في بلاد الحرمين في فصول مشهودة من كتابه *تحفة النظار في عجائب الأمصار وعجائب الأسفار*. وكان الدافع وراء خروج إبن بطوطة لرحلاته أولاً أداء فريضة الحج، إضافةً إلى رغبته في رؤية أحوال الناس في مختلف الأقطار وشوقه إلى المعرفة وولعه بالتنقل والمغامرة والتجربة[18].

وقد استفاد الحجاج العلماء القادمون من غرب البلاد الاسلامية فوائد متعددة من أدائهم لهذه الفريضة العظيمة. فكانوا يحرصون أثناء موسم الحج على الاستفادة من علماء الحرمين، ويعتزون بالسند الذي يعودون به إلى بلادهم. ويظهر تشوق علماء الغرب الإسلامي إلى رحلة الحج وزيارة المسجد النبوي والأماكن المقدسة من خلال الإشارات الجلية في مؤلفاتهم ورحلاتهم. ومن الأمثلة على ذلك ابن رشيد السبتي (ت. 721 ه) في كتابه *ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة*،[19] وأبي العباس المقري (ت. 1040 ه) في كتابه *روض الأس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس*،[20] والعالم محمد بن زاكور الفاسي (ت. 1120 ه) في كتابه *نشر أزاهر البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان*[21] وأبو سالم العياشي (ت. 1090 ه) في كتابه *ماء الموائد*[22].

نأخذ العياشي نموذجا لرحلات الحج المغربية. فقد ارتحل العياشي الى المشرق العربي ثلاث مرات، إثنتان منها ارتبطت بالحج والتعلم. فقد كانت رحلته الأولى سنة 1059 هـ/1649م وعمره آنذاك لا يتجاوز ثلاثة وعشرين سنة، وكان الهدف من هذه الرحلة هو الحج. أما رحلته الثالثة فكانت سنة 1072هـ/1661م وعمره إذاك خمسة وثلاثين سنة. وقد دامت الرحلة سنتين، وتعتبر من أخصب رحلاته، حيث جاور خلالها مكة والمدينة وحج مرتين واعتمر عدة مرات وقام فيها بنشاط علمي واسع المجال، ولقي كثيرا من المشايخ وأخذ عنهم وتباحث معهم وتناظر في عدة مسائل فقهية وصوفية، كما تصدر للتدريس في المدينة المنورة، وأجاز كثيرا من العلماء الذين أجازوه بدورهم، واستصحب معه كثيرا من الكتب والمؤلفات واستنسخ بعضها مما استعاره من كتب في ملك أصحابها من المشايخ والعلماء. وفي رحلته "**ماء الموائد**" نقول كثيرة من هذه المؤلفات، ورصيد وافر من الفوائد المنتخبة من الأمهات التي اطلع عليها في خزانة الحرم الشريف بمكة المكرمة إلى جانب ما زخرت به من الإجازات العلمية وجلها مجموع في الثبت الذي ذيل له أبو سالم هذه الرحلة وسماه "**إتحاف الأخلاء بإجازة الأجلاء**." وبعد رجوع أبي سالم العياشي إلى المغرب عام 1076هـ/1663م تفرغ للتأليف والتدريس[23].

كذلك كان للحج دور كبير في نقل اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى القارة الإفريقية، وذلك عن طريق جلب الكتب وتكوين الدعاة واستكمال الدراسة. وكان بعض الحجاج الأفارقة يبقون في الحجاز بعد الحج للدراسة، وتحصيل المعرفة والعلم، ثم يرجعون إلى بلدانهم لنشر العلم الذي حصلوا عليه في الحجاز. وكان بعض الأمراء والملوك من غرب إفريقيا لمّا يحجون ينقلون إلى بلدانهم علماء لتعليم الإسلام واللغة العربية، ويجلبون معهم كتبا في الفنون الإسلامية والعربية. وبهذه الطرق وصلت كتب كثيرة إلى أراضي غرب إفريقيا، مما ساعد على انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأصبحت اللغة العربية هي لغة الدين والثقافة والحياة الإدارية، وصار الحرف العربي هو الحرف الذي يكتب به أشهر اللغات الإفريقية، مثل الهوسا والفلانية والسواحلية والولفية.

ومن الرحلات الحجية التي انطلقت من بلاد شنقيط، الواقعة بجمهورية موريطانيا الإسلامية اليوم، نذكر الرحلات التالية، وهي غيث من فيض:

- رحلة محمد بن محمدي العلوي، وهو شاعر شاب رحلة اشتاق للبيت الحرام والروضة النبوية فتحرق شوقا حتى كاد شعره يصير ديوانا للرحلة إلى الحجاز وهو لما يبرح بعد بلاده. ثم رحل ومر بالمغرب وانطلق عبر البر في الرحلة التقليدية بشمال إفريقيا وصولا إلى الحجاز.

- رحلة عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت. 1233هـ) وهو أبرز من رحل إلى المغرب والمشرق من أهل مدينة شنقيط ومن مدينة تجكَجة، وكان استقر في المغرب برهة واتصل بالعلماء والأعيان، وحج وتردد على الأزهر في مصر، ولكنه لم يمكث كثيرا في الحجاز، وعاد سنة 1776م بعلم وافر وشهرة واسعة. ورغم اتساع رحلته لم يُدوّن رحلة لكن ابنه محمد محمود دوّن في كتابه **الدر الخالد في معرفة الوالد** نتفا من رحلة والده.

- رحلة التجاني بن بابا العلوي، وهو فقيه أديب، رحل إلى المغرب ومنه انطلق حاجا، ودوّن رحلته وشاهدها بعضهم وقد كمُل منها مجلد وهو لم يبلغ بلاد الواسطة والجريد في تونس، ما يدل على أنه سلك طريق البر المعتاد في شمال إفريقيا.

- رحلة محمد بن حب الله اليعقوبي المعروف بالمجيدري (ت. 1204هـ)، ولم يدون هو الآخر شيئا من رحلته لكن في ترجمته في كتاب "**الوسيط**" إشارات إلى صلاته بالسلطان العلوي ورحلته من المغرب برا إلى مصر، وعلاقته بأعيانها ومنها إلى الحجاز حيث صحب علماء من أصل هندي منهم محمد حياة السندي المشهور وغيره.

- رحلة الإمام بن محمد ألفغ الجكاني، الذي اشتهر بوصفه لتأثير الطواعين على ركاب الحج ورحلات أهل الصحراء.

- رحلة عبد بن سيدي محمود الحاجي (ت. 1255هـ)، رئيس قومه في الحرب والسلم، شاعر خنذيذ وعالم متمكن، رحل عدة مرات وتذكر روايات الشناقطة انتصاره

على قطاع الطرق في صحراء الجزائر، وكشفه لحيل بعض سكان أطراف القاهرة ممن يتحايلون على الحجاج.

- رحلة الشيخ ماء العينين، العالم المجاهد (ت. 1910)، وله رحلة هامة ذكر فيها معالم الطرق وأحوال البلاد التي مر بها وحوارته مع حجاج البلاد الإسلامية. وأهم ترجمة له هي تلك التي عقدها له العلامة المختار السوسي وابن إبراهيم السملالي في **"الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام"**.

- ونعرض أخيرا لرحلة سيد أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت. 1331 هـ) الذي خرج لأداء فريضة الحج، فأكمل المناسك سنة 1317 هـ. وقد التقى هنالك ببعض علماء الحجاز، فأخذ عنهم واستفاد منهم، وذكرهم في كتابه **"الوسيط في تراجم أدباء شنقيط."**[24]

وسار علماء الأندلس على نفس الدرب. ففي رحلته الى الديار المقدسة، يخبرنا العالم الرياضي الأندلس أبو الحسن علي القلصادي (ت. 1487م) أن الذي حفزه إلى الرحلة فريضة الحج وطلب العلم وسنية العمرة وزيارة المسجد النبوي، وأن المقصود من تدوينها التعريف بمشايخه الذين تلقى عنهم وبالرحلة ذاتها، بما في ذلك حديثه عن طريق العودة بعد زيارة المدينة المنورة إلى أن وصل ميناء ألمرية الأندلسي.

وفي أثناء رحلته، كان القلصادي دائب البحث عن الشيوخ والإجازات، مستزيدا من العلم بدءا من الخطوات الأولى التي خطاها ببر العدوة، مرورا بتلمسان وتونس وطرابلس بليبيا ومصر، وانتهاء بالبقاع المقدسة حيث أدى مناسك العمرة والحج، ثم العودة سالكا النهج نفسه الذي سلكه في الذهاب قارئا ومقرئا باحثا دوما عن الفائدة العلمية، لم يثنه عنها عناء الطريق بل كان يخفف بها ما يمكن أن يحصل من عياء أو إحساس بالغربة والبعد عن الوطن والأهل والخلان[25].

وعلى العموم كانت الرحلات الأولى للأندلسيين والمغاربة نحو المشرق هي الرحلة الدينية لأداء فريضة الحج، والتي لم تبدأ إلا بعد أن استقرت الدولة الإسلامية وذلك في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، إذ تذكر المصادر التاريخية أن الفوج الأول من الحجاج الأندلسيين وافق خروجه في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري. ولعل الحج يعتبر من أهم العوامل التي ساعدت العلماء على التنقل أو الارتحال إلى المشرق، فضلا عن كونه فريضة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، وكان بمثابة مؤتمر عالمي ثقافي يؤمه العلماء وطلبة العلم من أقطار العالم الإسلامي فيفيدون ويستفيدون علماً ومعرفة ويتعرفون على أحوال المجتمع الإسلامي. وما أن حل القرن الثالث الهجري، حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هدفا يسعون إليه كأنه فريضة ثقافية يؤدونها، وهي تطول أو تقصر حسب اكتفاء الطالب بالتحصيل، ولم تعد الرحلة العلمية أمرا منوطا بالنية الدافعة للحج بل أصبحت هي نفسها ضرورة لازمة، فكان على الطالب استدراك ما يفوته في بلده، فضلا عن ملاقاة العلماء المشهورين في مختلف الاختصاصات، وطلب الإسناد العالي، وكان هذا العلم من مستلزمات العالم. لذا لم تقف الأندلس في أي وقت من الأوقات عن معزل عما يجري في حواضر العالم الإسلامية الأخرى كبغداد ودمشق والقاهرة والقيروان وفاس. فقد كانت الصلات العلمية والفكرية مستمرة بين مختلف أقطار العالم الإسلامي ينتقل بين ربوعها العلماء والطلاب والمؤلفات والمذاهب.

وقد شهدت الرحلة الحجازية ذيوعا وصيتا مستديمين لدى المثقفين الأندلسيين. إن السفر إلى المشرق بغية الحج كانت وسيلة مثلى للتعرف على المجتمعات الإسلامية الشرقية وإتمام الدراسة ولقاء العلماء الفطاحل والأخذ عنهم. ولذلك فإن معظم الرحلات الحجازية تشمل مواضيع وأخبارا وفيرة تطبع عليه الصيغة الاستطلاعية. وبلغت الرحلة الحجازية مبلغا بعيدا من التنوع والجودة في القرنين السابع والثامن للهجرة، كما تبرهن مذكرات على بن محمد الرعيني الإشبيلي (ت. 666 هـ/ 1267م) ومحمد بن عمر ابن رشيد السبتي (ت 721 هـ/ 1321 م) والقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت. 730 هـ/ 1329 م) وخالد بن عيسى البلوي (ت. 780 هـ/ 1387 م). إلا أن الرحالة إبن جبير الأندلسي البلنسي (ت. 614 هـ/ 1217 م) هو خير من تتجسد لديه أصالة الرحلة الأندلسية وعظمتها، بفضل رائعته "**تذكرة الإخبار عن اتفاق الأسفار**." وتعكس هذه المؤلفات مهارات أصحابها في مجال الإخبار واعتناءهم الفائق بوصف الأماكن والمباني والأحوال الجوية، وفوق هذا وذاك حرصهم القوي على وصف المساجد والجوامع، وفي مقدمها المسجد الحرام والمسجد النبوي.

إن رحلة ابن جبير تنفرد من بين أخواتها الأندلسية والمغربية بمواصفات جمة نحن في غنى عن تعدادها هنا نظرا لوفرة الدراسات المنذورة لها. يكفينا أن نلفت الانتباه إلى أنها تشكل نقطة انعطاف في تاريخ الرحلة العربية لصياغتها الأسلوبية الراقية وتكريسها للرحلة جنسا أدبيا مستقلا، كما أنها تنتهج منهجا وصفيا موضوعيا لا يخلو من التدخل الشخصي والانحياز في الأحكام. والحق يقال إن انتقادات ابن جبير السياسية والاجتماعية تتصف في بعض الأحيان بشدة اللهجة، ولكنها ليست مغرضة أو اعتباطية، بل تعبر عن رأي مثقف مسلم أندلسي يعبر عن رأيه فيما شاهده من أحوال في مشرق العالم الإسلامي.[26]

6. 2. حجاج عثمانيون في أرض الحجاز

ومن جهته، يصف الرحالة التركي أوليا جلبي (توفي1094هـ/1682م) في *الرحلة الحجازية* رحلته منذ أن قامت من إسطنبول حتى انتهى من أداء شعائر الحج، حيث يقدم أوصاف الحرمين الشريفين وما فيها من تحف وعدد المآذن والأبواب والأعمدة والشبابيك وأطوال كل منها، وتعريف كامل بسكان البقيع من أصحاب رسول الله (صلعم). كما يصف وصفًا دقيقًا كل ما كان يصادفه من قلاع وحصون ومساجد وتكايا، ويعرفنا بأقطاب العلم، ويقدم وصفًا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والتشكيلات العسكرية والتقسيمات الإدارية للشام والحجاز[27].

وصاحب هذه الرحلة الشهيرة التي تعد من بواكير الرحلات التركية هو أوليا جلبي ابن درويش محمد آغاظلي، المتوفى عام 1094هـ/1682م أو عام 1096هـ/1684م عن عمر يناهز السبعين عاماً. وقد ذكر الرحالة أوليا جلبي أن عام 1039هـ/1630م يشكل حجر الزاوية لرحلاته التي استمرت نصف قرن من الزمان، وترك لنا رحلته التي دون فيها الغث والسمين من الأخبار عن البلاد التي زارها كافة.

تقع رحلة أوليا جلبي المدونة باللغة التركية الحديثة في عشرة مجلدات من القطع المتوسط، وقد طبعت عدة طبعات ونشرت منها منتخبات بعدة لغات. تحدث أوليا جلبي

في الجزء التاسع من الرحلة عن أسباب رحلته إلى الحج عام 1081هـ / 1670م، حيث ذكر تفصيلات ذلك، بدءاً بمغادرته لمدينة إسطنبول متوجهاً إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، وانتهاءً بمصر والسودان. تناول الرحالة أوليا جلبي تفاصيل رحلته إلى الحجاز في هذا الجزء التاسع من الكتاب، وذلك منذ خروجه من الشام في العشرين من شوال من عام 1081هـ / 1671م إلى وصوله إلى مكة المكرمة، ثم القيام بأداء فريضة الحج والانتهاء من المناسك، ثم خروجه من مكة المكرمة متوجهاً إلى مصر في 26 ذي الحجة عام 1082هـ / 1672م، حيث تحدث عن الحرم المكي الشريف وأوصافه من حيث البناء والعمران والتخطيط والساحات، ومقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وباب الصفا، وكسوة الكعبة المشرفة، وكيفية إعدادها، وذكر آداب الدخول إلى الحرم، وأورد بعض الأدعية المأثورة في ذلك. ثم تحدث عن المشاعر المقدسة، وذكر أوصاف منى وعرفات ومزدلفة، والجبال الموجودة في تلك المشاعر، وأورد بعض العادات الاجتماعية للأهالي في مكة المكرمة، كما ذكر أوصاف الحرم النبوي والروضة المطهرة من حيث البناء والعمران، وأورد الكتابات الواردة على جدرانه، وذكر معلومات قيمة عن بعض العادات الاجتماعية في المدينة المنورة، وكيفية استقبال الأهالي للضيوف والزوار إلى الحرمين الشريفين.

وإضافة إلى الحديث المستفيض للرحالة أوْلِيَا جلبي عن منازل الطريق إلى الحج، فإن تركيزه على إيراد الكثير من نمط معيشة الأهالي في الحجاز، وذكر جوانب مخفية من الأوضاع الاجتماعية في المناطق التي مر عليها، وإيراده لأسماء القبائل العربية التي كانت على طريقه، وغيرها من المعلومات التاريخية - يجعل من الرحلة مرجعاً تاريخياً مهماً، لا يستغني عنه الباحث والمؤرخ على وجه الخصوص.

6. 3. نموذج من كتابات رحالة بلاد فارس إلى الأراضي المقدسة

كما حظي الأدب الفارسي عبر عصوره المختلفة بالعديد من كتب الرحلات التي تصف رحلة الحج بالمشاعر المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة، معتمرين أو حاجين. وأكثر هذه الرحلات شهرة وذات شأن في بعدها التاريخي رحلات الشاعر الفارسي الشهير ناصر خسرو والتي أوردها في كتابه النثري الوحيد *سفر نامه* أي كتاب السفر. وقد استغرقت هذه الرحلات سبع سنوات في القرن الخامس الهجري بين عامي 437هـ/444هـ / 1045م - 1052م. بدأت هذه الرحلات حين أدى ناصر خسرو فريضة الحج أربع مرات خلال هذه السنوات. وقد أجاد ناصر خسرو في وصفه للأماكن من الشام إلى الحجاز، و من مصر إلى جدة ومنها إلى مكة والمدينة[28].

إستغرقت رحلة ناصر خسرو نحو سبع سنوات طاف خلالها إيران وآذربيجان وأرمينيا وبلاد الشام وفلسطين ومصر والحجاز وجنوب العراق. ويعد أول رحالة يطلق علي رحلته اسم **"سفر نامه"** وأصبحت هذه الكلمة فيما بعد متداولة لدي الرحالة اللاحقين. وكان هدف ناصر خسرو من رحلته تلك إلى بلدان المشرق العربي حج بيت الله الحرام والتعرف علي مظاهر الحضارة العربية والإسلامية في مختلف البلدان التي

زارها. وقد خص ناصر خسرو الأماكن الدينية في رحلته باهتمام متميز، خاصة ما جاء به في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس.

وقد أدى ناصر خسرو فريضة الحج أربع مرات، حيث كانت أولى رحلاته في عام 438 هـ/1046م. أما الثانية فكانت ضمن الوفد الرسمي المصري في عام 439 هـ/1048م، وكانت الرحلة الثالثة في عام 440 هـ/1048م برفقة البعثة المصرية أيضا إلى بلاد الحجاز. أما رحلته الرابعة والأخيرة فكانت في عام 442هـ/1050م عبر الديار المصرية عن طريق النيل إلى أسوان ومنها إلى ميناء عيذاب وبحر القلزم (البحر الأحمر حاليا) [29].

7. تفعيل روح حضارية جديدة من خلال الحج

نتعرض في هذا القسم من المداخلة الى بعض الاقتراحات في استعمال أحدث الوسائل التي وصلت اليها علوم الادارة لتلاقح الأفكار ووسائل المعلوماتيات المتقدمة وجعلها في خدمة تفعيل روح حضارية جديدة من خلال الحج.

تضطلع مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة بإنجلترا بأستخدام أحدث أساليب الاتصال المعاصرة في المعلوماتية من أجل استخدام الماضي والاعتماد على التراث الإسلامي لبناء مستقبل مشترك بين كافة الثقافات. وللتعرف على أعمال المؤسسة ومشاريعها العالمية الناجحة من مواقع وكتب وأفلام وإصدارات تعليمية وثقافية حازت على جوائز عالمية عديدة يرجى زيارة مواقعها الإليكترونية التالية:

www.fstc.org.uk - **www.Muslimheritage.com**

www.1001inventions.com - **www.CE4tF.org**.

أظهرت الدراسات الإدارية الحديثة والتي تعتمد على السيبرنتيك (Cybernetics) أن الفرد يتعامل مع غيره ومع البيئة المحيطة من خلال تركيبة ذهنه (Mental Model) التي تحدد هويته أو شخصيته (Identity) والتي بدورها تولد تصورات (Perceptions) ينطلق منها الموقف (Atitude) اللذي ينقله (Communicate) الى الآخرين، ثم بعد ذلك ينتج عملاً مشتركاً (Organise). وعليه فإذا أردنا التأثير في العلاقات الإنسانية لابد من التأثير على التصور، بل على الهوية. لكن الهوية (الشخصية) مزروعة في ماضي الشخص، وهذا الماضي ينبع من وسطه وعائلته وتربيته ونشأته والمعلومات التي دخلت في ذهنه من المدارس والإعلام والأشخاص الاخرين. فكلما تعرف على معلومة جديدة يتأثر تصوره (re-perception)، وهكذا يؤدي ذلك التصور الجديد إلى موقف جديد. وعليه فإن كثير من المواقف السلبية أو المواقف الودية تعتمد على الهوية. فإذا كانت

الهوية مزروعة في الماضي، أي في التاريخ، وإذا كان التاريخ مشوهاً أو ناقصاً، فلا غرابة أن نرى تصورات خاطئة تؤدي الى مواقف متشنجة. ولهذ السبب شرعت مؤسستنا في برامج إثراء واستخراج تاريخ العلوم والإختراعات الذي يكشف عن ألف سنة مفقودة في البرامج االتعليمية على كافة المراحل التدريسية التي غيبت عنها إبداعات ومساهمات الحضارات غير الأوروبية. وأثبتت التجارب أن هذه الوسيلة من أنجع الوسائل التي تؤدي الى الاحترام بين المجتمعات والثقافات.

وكما أوردنا سابقا، يؤثر الحج تأثيرا إيجابيا بليغا على تصورالحاج، فتتغير مواقفه وتتحول هويته من الفردية الى الإجتماعية ومن العنصرية الى الأخوة البشرية ومن الانغلاق الى الانفتاح ومن التشدد إلى التسامح ومن الوطنية المحدودة الى العالمية.

وعليه فان الفرصة مواتية لتعريض الحاج الى برامج تزيد من إثراء الهوية خصوصاً تلك التي تتعلق بالجذور التاريخية للعلوم، حيث يمكنه أن يكتشف بأن العالم الحديث مدين للحضارة الاسلامية في معظم مجالات الحياة. وسيؤثر ذلك الاكتشاف في تصوراته ويدفعه الى اتخاذ مواقف إيجابية نحو إثراء الحياة في مجتمعه الذي يعود اليه والمجتمع الإنساني عامة.

لا شك أن للحج فوائد جمة منها ما يحتاج الى تحسين وزيادة في الفاعلية خصوصاً في ترسيخ العقيدة وتقوية الإيمان، والإحساس بتضحيات المسلمين الأوائل، وتعميق معاني الخضوع الكامل لله تعالى، وتعضيد الإخاء والتضامن الإسلامي، وإلزام النفس بممارسة النظام والانضباط في الحياة، والتأكيد على معاني المساواة الإنسانية، وتبادل المصالح التجارية والاقتصادية، وتبادل وتلاقح الافكاروالمعلومات والتعرف والتعارف.

ومن خلال استطلاع سريع للبرامج والخدمات الجليلة التي تقدمها وزارة الحج بالمملكة العربية السعودية، فإننا نتقدم ببعض الاقتراحات والتوصيات لا شك انها ليست جديدة على المسؤولين ولكن من باب التذكير، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

- لابد من الاهتمام بالبعد الإستراتيجي ودور الحج في بناء مستقبل مشرق للبشرية
- استخدام أساليب المعلوماتيات الحديثة في تدريب الحجاج مثل الفضاءات الافتراضية (Virtual Spaces)، مثل برنامج Second Life الذي يمكن للزائر فيه أن يعيش ببعض الاجواء المشابهة للحج قبل قدومه
- استعمال الأجهزة الالكترونية الحديثة في توجيه الحجاج والتحكم في المسيرات وتحاشي المناطق المزدحمة

- مراقبة المسيرات عن طريق الهواتف المحمولة لدراسة وتحليل طبائع الحجيج في الحركة والتنقل

- تفعيل شبكة الأنترنت للاتصالات الهاتفية لتوفير الاموال والاقلال من هدر الطاقة التي تستخدمها الهواتف الجوالة

- توفير منصات معلوماتية للتواصل قبل وبعد الحج

- توفير ما قد يسمى ب**الحج الذكي** (Smart Hajj) وذلك باستخدام الانترنت في رسم الاتجاهات والتعرف على أماكن المرافق والملاجيء الصحية ومواقف السيارات

- استخدام طرق مساعدة للتفكير مثل " لعبة العالم" لايجاد حلول لمشاكل الحج وتحقيق نقلة نوعية تتناغم مع متطلبات المستقبل البعيد الذي يشير إلى زيادة هائلة في عدد السكان وسهولة المواصلات. تستخدم مؤسستنا لعبة العالم هذه في تصميم المشاريع المستقبلية، خصوصاً في تفادي النتائج غير المتوقعة (unintended consequences)، حيث أن العوامل التي تؤثر على املشاريع الكبيرة متشابكة ويؤثر بعضها على البعض الآخر بمقادير مختلفة

- محاولة استخدام الطاقة النظيفة في خدمة الحجيج وتثقيفهم وتشجيعهم لإستخدامها في أوطانهم

- هنالك أكثر من خمسة ملايين مخطوطة عربية منتشرة في أنحاء العالم، ومن المؤسف ان المُحقَّق منها لا يزيد على الخمسين ألف. وعليه نقترح استحداث بعض المشوقات للحجاج أن يجلبوا معهم المخطوطات التي بحوزتهم ويودعونها في مكتبة مكة المكرمة كي تصبح أكبر مجمع لهذه الثروة المهمة للانسانية جمعاء.

- إنشاء معارض تثقيفية تعرف بالعصر الذهبي للحضارة الاسلامية بمستوى عالي الجودة مثل معرض "ألف اختراع واختراع" الذي يتنقل الان في أمريكا الشمالية وفي البلاد العربية. للمزيد من المعلومات حول هذا المعرض الكبير، يرجى زيارة موقعنا الإليكتروني www.1001inventions.com .

8. شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور محمد أبطوي المحرر المسؤول للموقع الحضاري www.Muslimheritage.com لما قدمه من مساعدة جليلة في هذا البحث وللسيدة كوثر شيتوي لقيامها في التنقيب عن المصادر الواردة.

9. ملحق

تعليقات ومقتطفات من رسالة قسطا بن لوقا البعلبكي (حوالي 205-300هـ/820-900م) الى الحسن بن مَخْلَد في "تدبير سفر الحج"

يقول قسطا في صدر رسالته:

"بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي. التأهب أعزك الله [الحسن بن مَخْلَد] لما لا يؤمن حلوله والإستعداد لكل ما تحتاج اليه من قبل وقت الحاجة اليه من الحزم وقوة الفكر وصحة التمييز. وقد اعتزمتَ أعزك الله من هذا السفر على ما أسأل الله ان يعظم بركته عليك وأن يرزقك فيه السلامة ومحمود العاقبة ويجزل لك الثواب عليه ويحسن صحبتك فيه. فتحتاج أعزك الله الى الاستظهار باتخاذ ما يحتاج إليه مثلك من آلة العلاج، ان كان مسيرك في بلد لا يحضره طبيب ولا يوجد فيه كل ما تحتاج من الأدوية. والله يعلم صدقي فيها لولا صبية أغرّاء لا يمكن التغرب عنهم وملازمتي لحضرة هذا السيد أعني (أبا الحسن عبد الله) مولى أمير المؤمنين وعلمي، أيدك الله، أنه سيخرج معك أطباء [يفون] بجميع ما تحتاج إليه من مثله، لآثرت الخروج معك على أي الأحوال كانت، والقيام بخدمتك والسعي في حوائجك وأمورك، بما يظهر ما يكنه ضميري وتحتوي عليه النية مني. وإذ لم أجد لي الى ذلك سبيلا رأيت ان أكتب ما تحتاج اليه من ذلك في كتاب ينوب عن حضوري بعض النيابة."[30]

وينتقل قسطا بعد ذلك الى توضيح المعاني الخاصة بهذا السفر، أي سفر الحج، بعد أن يشير الى المعاني العامة للأسفار فيقول:

"الاشياء التي تحتاج الى علمها من أمر تدبير الأبدان في الأسفار بالجملة هي أربع معان: الأول منها العلم بالتدبير في وقت الراحة والطعام والشراب والنوم والباه، والثاني العلم بأصناف الأعياء والشيء الذي يذهب بكل صنف منه والثالث العلم بالعلل التي تعرض من هبوب الرياح المختلفة وعلاجها، والرابع العلم بالتحرّز من الهوام وعلاج آفاتها إذا وقعت. فهذه الأشياء التي تحتاج الى علمها والعمل بها في الأسفار كلها. فأما سفر الحج فمع الحاجة فيه الى هذه المعاني قد تخصّه أربع معان أخر: الأول منها العلم باختلاف المياه وإصلاح الفاسد منها، والثاني الاحتيال في عدم الماء وقلّته وما يقطع العطش، والثالث العلم بالتحرّز من الاشياء التي يولّد منها العرق المدني وهيجان البواسير، والرابع التحرّز من الحيات والعلاج من آفاتها. وأنا واصف كل ما يُحتاج اليه من العلم بهذه المعاني على ما قال الأوائل في ذلك ومصنّفه باباً باباً ليظهر معانيه وليسهل إستخراج أيّ معنى إلتُمِس منها وعلى الله أتوكلّ في ذلك وبه أستعين."

ثم يعدد محتويات الرسالة في أربعة عشر باب كما يلي:

"الباب الأول: كيف ينبغي ان يكون التدبير في نفس المسير وأوقات الطعام والشراب والنوم والباه. الباب الثاني في الأعياء وعما يحدث وكم أنواعه وبأي شيء يعالج كل شيء منه. الباب الثالث في أصناف التغميز وذلك أسفل القدم، في أي حال يحتاج الى كل صنف من أصناف التغميز وفي أيّها يحتاج الى ذلك القدم. الباب الرابع في العلل التي تتولد من هبوب الرياح المختلفة الهواء. الباب

الخامس في وجع الأذن الذي يعرض كثيراً من هبوب الرياح الشديدة الحر والبرد وعلاج ذلك. الباب السادس في الزكام والنوازل والسعال الذي يعرض من اختلاف الهواء وعلاج ذلك. الباب السابع في علل العين التي تعرض من اختلاف الهواء والغبار والرياح وعلاج ذلك. الباب الثامن في امتحان المياه المختلفة ليعلم ايّها أصلح. الباب التاسع في إصلاح المياه الفاسدة. الباب العاشر في عدم الماء والاحتيال لما يقطع العطش. الباب الحادي عشر في التحرّز من جميع الهوام. الباب الثاني عشر في علاج لسع الهوام كلّها. الباب الثالث عشر في البيان بماذا يتولّد العرق المدني وبماذا يتحرّز من تولّده. الباب الرابع عشر في وصف علاج العرق المدني اذا تولّد في البدن."

ينظر قسطا بن لوقا الى الجسم البشري في هذه الرسالة على أنه يحتاج الى عناية خاصة كي يتاح له ان يقوم بواجبه ووظيفته القيام الصحيح. وعنده أن الغذاء هو أول ما يجب أن يُعنى به، خاصة أثناء السفر. فعندما يتحدث عن سير القافلة بالذات، يتوقف ليقول *"وأن يتوقى [المسافر] تناول الغذاء في أوائل المسير أو في وسطه... وليتوق المسافر أن لا يكون أكله في المسير؛ فان إتصل وطال صير ما يتغذى به في السفر سويق السلث او كعكا وسكرا يشربه بماء بارد أو شراب الخوخ أو شراب الإجاص." وفي حالة إصابة المسافر بالإعياء فالذي "ينبغي ان يستعمل في أنواع الأعياء كلها من الأغذية المعتدل في جوهره وكيفيته، وأن يحتمي من جميع الأشياء الظاهرة الحرارة التي تولد أخلاط رديئة حارة."*

وشغلت قضية المياه، ومياه الشرب خاصة، رجال الطب والصحة. فقد لفت الأطباء منذ القديم نظر العاملين في شؤون الطب الى وجوب الاهتمام بالماء. وكانت هذه النصائح معروفة لدى علماء الطب في الحضارة الإسلامية. ومن النواحي التي شغل الأطباء بها قضية تعقيم الماء الفاسد. وقد تناول قضية المياه الفاسدة وسبل إصلاحها جميع الذين كتبوا في الطب من القدامى والمسلمين. فابن سينا كان يرى أن تنوع الماء، ومن ثم تعرضه للفساد والأسنة، كان أكبر ضرراً من تعدد أنواع الطعام. لذلك فقد نصح الأطباء دوما أن يغلى الماء قبل أن يُشرب ضمانة لإزالة ما فيه من الأذى.

وإلى جانب الإهتمام بتنظيف أو تنقية الماء للشرب، يفرد قسطا بن لوقا فصل يتعلق بتخفيف العطش أو الحيلولة دون استحكامه. فهو ينصح بتقليل الغذاء واعتماد الأغذية ذات الطبيعة الباردة والرطبة كالبقول وبعض الفواكه. ويضيف: *"وأقوى ما يستعمل في ذهاب العطش أن يلان بزر الخس الأسود وأصل السوس وبزر القثا مقشراً"*.

ويبدو أن الغبار كان مصدر إزعاج للأطباء لأنه قد يؤدي الى السعال والزكام، كما أنه يؤذي العين والأذن. يقول قسطا بن لوقا: *"فأما العين التي فيها علّة من رمد أو من مرض آخر، فإن الغبار لها رديء لأنه لا يؤمن أن يحدث فيها حادث من حرارة أو حدة أو غير ذلك من الآفات. ولذلك ينبغي أن يتوقى منه الأعين التي فيها علّة غاية التوقي"*.

ويحتوي كتاب قسطا بن لوقا أموراً أخرى عديدة حرية بالعناية لحفظ صحة الحجاج أثناء السفر، ومنها فصل عن الإعياء:

"الباب الثاني في الإعياء وعماذا يحدث وكم أنواعه وبأي شيء يعالج كل نوع منه. من أجل أنه لا يؤمن ان يتولّد عن الحركة المفرطة إعياء ما يجب أن نصف الإعياء وأنواعه وبأي شيء ينبغي أن يحتال لإصلاحه والسلامة منه، فنقول أن الإعياء هو حال يحدث للبدن حسّ ألم يولد عن حركة

مفرطة، وذلك أن حركات البدن جميعاً إنما تكون بالعضل والعصب المنبثّ فيه الذي منشؤه وأصله الدماغ. فإذا تحرّك البدن حركة مفرطة نال العضل المحرّك له أذى بالاحتكاك والتصادم الذي يكون بالحركة السريعة، والحال الحادثة عن ذلك تسمّى إعياء. وأنواع الإعياء التي ذكرها جالينوس أربعة، الأول منها يسمّى المثقّل والثاني الممدّد والثالث يسمّى المسخن والرابع يسمّى المؤلم. فالأبدان الممتلئة أخلاطاً لزجة غليظة مائلة الى البرودة والرطوبة، إذا تعبت بالحركة أذابت الحركة تلك الأخلاط وأنضجتها فصارت دما رقيقاً لطيفا تمتليء به أوعية البدن فتزيد في دم البدن زيادة بيّنة، فإن كانت قوّة البدن ضعيفة كانت تلك الزيادة كلاً عليه. فأحسّ من ذلك بثقل أكثر لا يمكنه أن يحتمله وكان من ذلك الاعياء المثقل. وإن كانت قوّة البدن قوية يفي بحمل الأخلاط إلا أن الأوعية أعني العروق ضيّقة لا تسع الأخلاط التي حلّتها الحركة فكان من ذلك الإعياء الممدّد، فيحسّ الانسان كأن عروقه وأعضاءه تمدّ التمدّد الذي يناله بالزيادة التي كانت فيها بالاخلاط التي أذابتها الحركة وحلّتها. فأما الذي يكون مع إسخان وحرارة والأعياء الذي يكون مع ألم يُحسّ في الأعضاء، فإنهما يكونان في الأبدان التي أخلاطها لطيفة دقيقة، فإذا تحركت هذه الأبدان حركة كثيرة حميت الأخلاط التي فيها وسخنت بالحركة إذ كانت في طبيعتها مائلة إلى الحرارة فكان منها الإعياء الذي قدّمنا ذكره في هذا الفصل، أي المُسخّن.

"فإذا كانت الاخلاط في طبيعتها حارّة ازدادت سخونة من قبل الحركة فكان من ذلك الأعياء المؤلم. وذلك ان الإخلاط تصير في هذه الحال بمنزلة الشيء الذي قد غلى واحترّ وصار يلذع ويؤلم. فهذه أسباب الأعياء الأربعة التي ذكرها جالينوس. فأما علاجها فإن النوع الأول والثاني منها يصلحان بالتغميز الرقيق والمروخات بالادهان المعتدلة، الحارة كدهن الخيري والسوسن ودهن الآس والأدهان المتّخذة بالزيت الذي قد طبخت فيه الأفاويه الطيّبة الرائحة الملطفة المحلّلة.

"فأما الإعياء الذي يسخن فيه البدن والإعياء الذي يكون منه في البدن شيء من حسّ الألم فإن حاجته الى الغمز يسيرة، بل إن لم يستعمل فيه الغمز البتّة كان ذلك اصلح. والذي ينبغي أن يقصد في تمريخه بدهن ورد مع ماء فاتر قد خلط جميعاً وضربا ضربا شديدا حتى يصيرا في صورة الزبد. في وقت حلبه. والذي ينبغي ان يستعمل في أنواع الأعياء كلّها من الأغذية الغذاء المعتدل في جوهره وكيفيته، وأن يجتمي من جميع الأشياء الظاهرة الحرارة التي تولد اخلاطا رديئة حارة، ويبادر بالنوم بعقب التعب وان يتوقّى الحركة بعد الطعام وفي الأوقات التي يحسّ فيها أن في المعدة طعاماً وأن يتوقّى شرب الماء البارد بعقب التعب الكثير."

ويحدثنا قسطا بن لوقا في بابين (الحادي عشر والثاني عشر) عن الهوام، فالأول يتناول فيه التحرز من الهوام جملة، أما الثاني فهو للعلاج. وهذه من صفات هذه الرسالة، حيث يبحث فيها صاحبها أولاً عن تجنب المشكلات والأمراض والهوام والزواحف، ثم ينتقل الى العلاج.

وفي البابين الأخيرين (الثالث عشر والرابع عشر) يتناول قسطا بن لوقا العرق المدني وسبيل تولده ثم وصف علاجه. ويتساءل في البداية عمّ يتولد العرق المدني؟ ويقول: *"من أجل أن العرق المدني يتولد كثيراً في ذلك الصقع، أعني المدينة، حتى صار يعرف بالمدني... إن تولد هذا العرق في اللحم كتولد الحيّات وحب القرع وأصناف الدود في البطن."*

وهنا يتوقف قسطا بن لوقا كي يقدم رأياً في تكون العدد الكبير من هذه الطفيليات، على أن ذلك هو مقدمة علمية لتطور العرق المدني. يقول:

"ان تولّد هذا العرق يكون في اللحم كتولّد الحيات وحبّ القرع وأصناف الدود في البطن وكتولّد سائر الأشياء التي تدّب على الأرض. والعلّة التي تشمل على هذه الأشياء جميعاً في تولّدها العفونة المعتدلة. وكما أن ما يعفن في جميع الأجسام يولد حيواناً كذلك العفن في اللحم يكون منه تولّد

هذا العرق. وكلّ تعفّن فانما يكون بإجتماع حرارة ورطوبة بأقساط معلومة، وتلك الأقساط ليس يدركها البشر ولا يعلم مقاديرها الا البارئ جلّ وعزّ. على انها ليست محصورة حصراً لا يلزم فيها زيادة ولا نقصان، بل مختلفة واختلافها على قدر اختلاف الحيوان المتولّد منها. فإن الأقساط من الحرارة والرطوبة التي تتولّد منها الحيات في البطن خلاف الأقساط التي يتولّد منها حبّ القرع وخلاف الأقساط التي تولّد عنها القمل والبراغيث والبقّ والجرجس. وكذلك (الأقساط) التي يتولّد عنها من الأرض الضبّ واليربوع والجردون خلاف الأقساط التي تتولّد عنها الحيات والعقارب وبنات وردان. وقد يختلف تولّد هذه الحيوانات في البلدان على قدر اختلاف ترب البلدان، فإن كلّ تخصّه تربة يتولّد فيها من هذه الحيوانات خلاف الحيوانات التي تتولّد في التربة الأخرى."

لا شك هذا العرض البيولوجي صحيح في مجمله، لكنه يحسب ان الحيوانات التي ذكرها تتولّد من نفسها لمجرد أن البيئة التي تحيط بها او توجد حولها تعطيها المناخ المناسب..ومما يجدر بالذكر فان قلة من العلماء المسلمين كان لهم أراء مشابهه فمثلا ابن النفيس (علاء الدين ابو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي ولادة دمشق 1213م) في روايته " السيرة الكاملية" (التي أراد الدفاع فيها عن وحدانية الخالق وعن خاتمية الرسالة المحمدية)، رد فيها على أراء ابن طفيل التصوفية في قصته "حيّ بن يقظان" بأن كامل بطل قصته بدل حيّ بن يقظان، اختلق بسبب تفاعلات كيمياوية وبيولوجية تأثرت في بيئة خاصة قبل أن تحا فيه الروح بإذن الله . لكن ما يجب ان نذكره أن معظم العلماء المسلمين قد رفضوا هذه الأراء. وان الرأي السائد والمتفق مع العلم الحديث هو أن مثل هذه الأحوال تساعد على نمو هذه الحشرات والحيوانات التي تكون في وضع مهيّء لذلك، لكنها لا تؤدي الى تولّد ذاتي.

ويستمر في قوله:

" ولأن المدينة تتوفر فيها أحوال وشروط تؤدي الى العفونة بسبب الماء الراكد فيها، فإنه من هذه الجهة صار العرق المدني يتولّد في المدينة وما يليها في أكثر الحالات دون سائر المواضع. والسبب في ذلك ان هواء ذلك الصقع مع الأغذية التي توجد فيه كثيراً فيتغذى بها الناس كالتمور يتولّد ذلك العرق في اللحم فيصير حيواناً كسائر الحيوان الذي يتولّد في البطن والأمعاء. والتحرّز من تولّده ان يترك أكل التمور البتّه والتوقّي من استعمال الأغذية التي يسرع اليها الفساد والاستحالة كالألبان وما يعمل منها مثل الجبن والمصل وما شابه ذلك، وبادمان دخول الحمّام واستعمال صبّ الماء الحارّ على البدن إن كان ذلك البلد لا حمّامات فيه، وشرب السكنجُبين كثيراً قبل الطعام وأخذ اطريفل الأهليلج الأصفر في الأيام الأهليلج المربّى والأملج المربى والشقاقل المربّى والحبوب التي تنقّي المعدة والأمعاء مثل الحبّ المعروف بالشبيار وحبّ الذهب وحبّ المقل وسفوف الأهليلج والرازيانج والسكر وما شابه ذلك، واستعمال الكبر في الطبيخ واتخاذ البوارد منه، أعني من قضبانه وحبّه من أنفع الأشياء في التحرّز من هذه العلّة. وكذلك الشبث والرازيانج والطرخشقون والفوذنج النهري والفوذنج الجبلي والسذاب والنعنع وجميع البقول التي معها تفتيح لمنافس البدن وانضاج الإخلاط وتعديلها لئلا تلجح في عضو من أعضاء البدن فيتعفّن فيه. بهذا التدبير وما شابهه يكون التحرّز من العرق المدني".

وينتقل بعد ذلك الى الباب الرابع عشر وهو الأخير وفيه يتناول قسطا بن لوقا البعلبكي وصف علاج العرق المدني اذا تولد في البدن. وينصح قسطا قراءه بالتحرز من تولد هذه الدودة وذلك بتجنب أكل التمور ودخول الحمام أو صب الماء الحار على

الجسم، وتجنب المآكل التي يسرع اليها الفساد كالحليب والأجبان والمصل. ويوصي بشرب السِكَنْجَبين كثيرا قبل الطعام، وأخذ الإهليلج الأصفر والمربى والحبوب مثل الشنبيار وحب الذهب. وهذه كلها تشير إلى أدوية مفردة أو مركبة يُقصد منها تقوية الجسم كي يتمكن من إفراز هذه الدودة.

10. المصادر

[1] أنظر الدراسة التي أجراها ثلاثة باحثين من الولايات المتحدة ونشرت عام 2008:

Asim Ijaz Khwaja, David Clingingsmith, Michael Kremer, Estimating the Impact of the Hajj: Religion and Tolerance in Islam's Global Gathering (Harvard Kennedy School Working Paper No. RWP08-022).

توجد هذه الدراسة منشورة على الأنترنت ويمكن تحميلها من الرابط التالي:

http://papers.ssrn.com/sol3/Delivery.cfm/SSRN_ID1132840_code385205.pdf?abstractid=1124213&mirid=1.

[2] Malcolm X with Haley, 1965. *The Autobiography of Malcolm X*. New York: Grove Press.

[3] Zheng He, The Chinese Muslim Admiral.
http://www.muslimheritage.com/topics/default.cfm?articleID=218

[4] محمد السيد بلاسي، "أسماء مكة والمدينة في اللسان العربي،"، *مجلة التاريخ العربي*، عدد 32، صص. 232-233.

[5] أبو عبد الله محمد الذهبي الدمشقي ، *الأمصار ذوات الآثار*، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، 1985، ، ص. 159.

[6] حمد الجاسر، *أشهر رحلات الحج: رحلتي ابن عبد السلام الدرعي*، دار الرفاعي للنشر التوزيع، ط. 1، 1402 هـ، ص. 11.

[7] عبد الوهاب أبو سليمان، *الحرم الشريف الجامع والجامعة*، نادي مكة الثقافي الأدبي، صص. 6-

[8] محمد السيد علي بلاسي، *أسماء مكة والمدينة في اللسان العربي*، ص. 234.

[9] المرجع نفسه، ص. 235.

[10] للمزيد من المعلومات، انظر أنظر حجازي حسن على طراوه، *دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهدي الراشدين والأمويين*، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 1423 هـ/2003 م؛ خالد عبد المحسن، *الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي*، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1426 هـ، ص. 368 وما يليها؛ سليمان بن عبدالغني مالكي، الحركة العلمية في مواسم الحج خلال القرن السادس الهجري، مجلة *الدرعية*، السنة الثانية، العدد السادس والسابع، ربيع الآخر - رجب 1420هـ / أغسطس - نوفمبر 1999.

[11] David A. King, *World-Maps for Finding the Direction and Distance to Mecca: Innovation and Tradition in Islamic Science*. Leiden: Brill/London: Al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 1999, p. 199.

[12] Ali Moussa, "Mathematical Methods in Abū al-Wafāʾ 's *Almagest* and the Qibla Determinations," *Arabic Sciences and Philosophy* (Cambridge University Press), vol. 21, Issue 1, March 2011, pp. 1-56.

[13] سليم الحسني، *ألف اختراع واختراع: التراث الاسلامي في عالم اليوم* (بالانجليزية)، نشر ناشيونال جيوغرافيك ومؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة، واشنطن، 2012.

[14] ومؤلف الرسالة هو قسطا بن لوقا البعلبكي (حوالي 205-300هـ/820-900م). وقد قال عنه ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء": "كان ناقلا خبيرا باللغات فاضلاً في العلوم الحكمية وغيرها." وأضاف فيما بعد "أنه مسيحي النحلة، طبيب حاذق نبيل فيلسوف منجم عالم بالهندسة والحساب". إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، (تحقيق نزار رضا، بيروت: دار الحياة، 1965)، ص. 280. ونقل ابن أبي أصيبعة عن ابن النديم "أن قسطا كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والأعداد والموسيقى، لا مطعن عليه، فصيحاً في اللغة اليونانية، جيداً في اللغة العربية". ويضيف ابن أبي أصيبعة "ونقل قسطا كتباً كثيرة من كتب اليونانين الى اللغة العربية. وكان جيد النقل فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي. وله رسائل وكتب كثيرة في صناعة الطب وغيرها، وكان حسن العبارة جيد القريحة.": ابن أبي أصيبعة، نفس المرجع، ص. 329.

[15] ناجي محفوظ: "قسطا بن لوقا البعلبكي وطب السفر"، في: *بيت الحكمة العباسي عراقة الماضي ورؤية الحاضر. أبحاث الاحتفالية المئوية الثانية عشرة على تأسيسه في بغداد*، بغداد: بيت الحكمة، 2001، مج 1، صص. 152-153.

[16] نشر المؤرخ الهولندي غيريت بوز هذه الرسالة عام 1992 في تحقيق نقدي دقيق مع تعاليق وافية وترجمة إنجليزية. أنظر:

Qustâ Ibn Lûqâ's Medical regime for the Pilgrims to Mecca : the "Risâla fî Tadbîr Safar al-Hajj", edited with translation and commentary by Gerrit Bos. Leiden: Brill , 1992.

[17] محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي، *تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار (578-581) هـ*، حررها وقدم لها علي كنعان، أبو ظبي: دار السويدي للنشر، 2008، ص. 68.

[18] أنظر ترجمة إبن بطوطة ومراجعها في: الحسن شاهدي، *أدب الرحلة بالمغرب*، الرباط: منشورات عكاظ، 1990، صص. 247-257؛ و"رحلة الحج في القرن الثامن الهجري كما وصفها الرحالة ابن بطوطة في 726 هـ" في *رحلات الحج في عيون الرحالة وكتابات الأدباء والمؤرخين* لعبد الله بن حمد الحقيل، الرياض: مكتبة الرشد، 2012.

[19] أبو عبد الله محمد بن عمر ابن رشيد السبتي (657 - 721 هـ / 1259 - 1321 م) رحالة عالم بالأدب وعارف بالتفسير والتاريخ. ولد بسبتة، وولي الخطابة بجامع غرناطة الأعظم، ومات بفاس. رحل إلى مصر والشام والحرمين سنة 683 هـ وصنف رحلة سماها *ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة*، وهو في ست مجلدات طُبع البعض منها. أنظر: *ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة و طيبة المعروفة برحلة ابن رشيد السبتي (ت*

721 هـ)، الجزء الثاني، تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، تونس: الدار التونسية للنشر، 1402 هـ / 1982.

[20] *روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس*، تأليف الشيخ الأديب شهاب الدين أحمد بن محمد المغربي المقري نزيل مصر المتوفى سنة 1041 هـ ، عني بنشره عبد الوهاب بن منصور، الرباط: المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، 1403 هـ - 1983 م. أنظر أيضا *رحلة المقري إلى المغرب والمشرق*، تحقيق محمد بن معمر، الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، 2004.

[21] ذكره عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق، 1380 هـ/ 1960 م، ج. 11، ص154. محمد بن قاسم بن محمد بن الواحد ابن أحمد بن زاكور الفاسي (1075 - 1120 هـ/1665 - 1708 م، أديب ولغوي وشاعر، ولد بفاس ونشأ بها. من مؤلفاته الكثيرة *عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة*، *المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين*، *أنفع الوسائل في أبلغ الخطب وأبدع الرسائل*، وديوان شعر سماه *الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض*، *ونشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان*.

[22] أنظر حمد الجاسر، *مقتطفات من رحلة العياشي: ماء الموائد*، الرياض: دار الرفاعي، 1404هـ / 1984؛ *ورحلة الرحلات: مكة في مئة رحلة مغربية*، تأليف عبد الهادي التازي، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1426هـ / 2005م. والكتاب الأخير موسوعة تضم مجلدين، يعرف فيها الكاتب بأبي سالم وآثاره خاصة رحلته الكبرى *ماء الموائد*، والصغرى التي حملت عنوان *التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الظروف إليه في طريق الحجاز*، كتبها لتلميذه أحمد بن سعيد المجيلدي وهو في بدء طريقه للحج سنة 1068هـ / 1658، حيث زوّده بإرشاد عن الأمتعة التي يصحبها معه وعن طريق الحج ومنازله وعرّفه بمراكز المياه الصالحة وبالمشتريات النافعة، مع الأعلام الذين يأخذ عنهم والمزارات التي يقصدها.

[23] عبد الله المرابط الترغي، "الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي: رحلة أبي سالم العياشي *ماء الموائد* نموذجاً،" *مجلة التاريخ العربي*، عدد 29، شتاء 2004؛ وعبد الله بن حمد الحقيل، "الحج في أدب الرحلات"، *صحيفة الجزيرة*، عدد 12153، يناير 2006.

[24] أنظر حول رحلات الحج الشنقيطية: محمد بن أحمد بن المحبوب، "الرحلات الشنقيطية صوب الجزيرة العربية"، *مجلة التاريخ العربي*، الرباط، العدد 27؛ ومحمد محمود ولد الشيخ، "رحلات غير معروفة من بلاد شنقيط من خلال كتاب الوسيط"، *المؤتمر الدولي لأدب الرحالة العرب والمسلمين* (الدوحة، ديسمبر 2010)، بحث منشور على الأنترنت في موقع مؤسسة "ارتياد الآفاق"، على الرابط التالي: http://alrihlah.com/nadawat/research/515؛ وحماه الله ولد السالم، "رحلات الحج من موريتانيا (بلاد شنقيط: تقديم الرحلات وإسهامها في التواصل المشرقي ـ المغربي"، *المؤتمر الدولي لأدب الرحالة العرب والمسلمين* (الدوحة، ديسمبر 2010)، بحث منشور على الأنترنت في موقع مؤسسة "ارتياد الآفاق"، على الرابط التالي: http://alrihlah.com/nadawat/research/470.

[25] *رحلة القلصادي لأبي الحسن علي القلصادي الأندلسي المتوفى بباجة إفريقية سنة 891هـ*، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1978.

[26] حول رحلات الأندلسيين المرتبطة بالحج إلى بيت الله الحرام، أنظر غازي مهدي جاسم الشمري، "الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي"، *المؤتمر الدولي لأدب الرحالة العرب والمسلمين* (الجزائر، 2004)، بحث منشور على الأنترنت في موقع مؤسسة "ارتياد الآفاق"، على الرابط التالي: http://alrihlah.com/nadawat/research/280؛

إغناطيوس غوتيريث دي تيران غوميث بينيتا، "أسفار الأندلسيين وتكوين الخصوصية الإسبانية لأدب الرحلة *المؤتمر الدولي لأدب الرحالة العرب والمسلمين* (الدوحة، ديسمبر 2010)، بحث منشور على الأنترنت في موقع مؤسسة "ارتياد الآفاق"، على الرابط التالي: http://alrihlah.com/nadawat/research/464.

[27] سهيل صابان، "أوليا جلبي ورحلته إلى الحجاز في أواخر القرن الحادي عشر الهجري"، *مجلة الدارة*، عدد 3، السنة 27، 1422هـ/2001م، صص. 62-93؛ أعيد نشره في: سهيل صابان، *مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا*، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض 1423 هـ/ 2002م.

[28] ناصر خسرو علوي، *سفر نامة*، *ترجمة الدكتور يحيى خشاب*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية، 1993.

[29] بديع محمد جمعة، "جولة بين رحلات الحج في الأدب الفارسي"، بحث ألقي في الندوة الإسلامية السنوية الكبرى "مكة عاصمة الثقافة الإسلامية 3" التي أقامتها وزارة الحج بالمملكة العربية السعودية أثناء موسم الحج بمكة المكرمة في ذي الحجة 1425 هـ / يناير 2005.

[30] قسطا بن لوقا، *رسالة في تدبير سفر الحج*، نشرة غيريت بوز، ليدن، 1992، ص. 16.